بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه هي أول دراسة علمية منهجية باللغة العربية عن (**الإسلام وأهل الذمة**) وقد رجعنا فيها إلى جميع المصادر العربية،القديمة والحديثة، فضلاً عن المصادر الأفرنجية.

وهذا الكتاب يتحدث عن أحكام أهل الذمة في الإسلام، ويدرس أحوال أهل الذمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدول الإسلامية على مر العصور التاريخية، وقد أثبتنا بالأدلة ، التاريخية ، وباعترفات المستشرقين، أن أهل الذمة قد نعموا طوال العصر الإسلامي بالحرية و الإخاء والمساواة ، وعاشوا دائمًا في ظل التسامح الإسلامي.

وقد قسمنا الكتاب إلى ١٥ فصلاً .تحدثنا في الفصل الأول عن اليهود و المسيحيين في الجزيرة العربية قبل الإسلام وشهدنا الصراع الدائم الذي نشب بين الطائفتين حول السيادة في الجزيرة العربية، ورأينا عدم إقبال العرب على اعتناق هاتين الديانتين، حتى أصبح العرب في حاجة ماسة لظهور عقيدة جديدة ، هي الإسلام .

والفصل الثاني بعنوان (**الرسول والمسيحيون**) وشهدنا معاملة الرسول ﷺ المتسامحة للمسيحيين ودرسنا ظروف هجرة المسلمين إلى الحبشة المسيحية،ثم درسنا العلاقات بين الدول الإسلامية في عهد الرسول والدولة الرومانية ، ورسالتي النبي ﷺ إلى كل من هرقل إمبراطور الروم والمقوقس زعيم القبط بمصر، وموقف كل منهما من الدعوة إلى الإسلام.

وفي الفصل الثالث تحدثنا عن (الرسول ﷺ واليهود) فقد كان اليهود يبشرون بظهور نبي جديد ويتوعدون به الوثنيين ، حتى ظهر الإسلام ونزل الوحي على الرسول الكريم ﷺ، وتنكر اليهود للرسول والمسلمين ووقفوا منهم موقفاً عدائيّ.وحاول الرسول بعد هجرته إلى المدينة جذب اليهود إلى الإسلام،وأكرمهم وعاملهم معاملة متسامحة ولكنهم أصروا على عدائهم وتعصبهم، مما أدى إلى الصراع بين المسلمين واليهود. ودرسنا في الفصل الرابع (أحكام أهل الذمة في الإسلام)،فعرفنا بأهل الذمة، وذكرنا حقوقهم وواجباتهم،وفصلنا الحديث عن الجزية،وأسباب فرضها ومقدارها وطريقة موعد جبايتها وأصول الإعفاء منها .كما ناقشنا مدى اعتبار المجوس من أهل الذمة .ثم تحدثنا عن ملابس وأزياء أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ومدى تطبيق هذه القواعد.ثم ذكرنا القواعد الفقهية لكثير من مسائل أهل الذمة كالزواج والقضاء والارتداد والمواريث والتجارة

والفصل الخامس بعنوان (أهل الذمة في ظل التسامح الإسلامي)،تحدثنا فيه عن المبادئ الإنسانية في الإسلام،وما حث عليه الإسلام من تسامح مع أهل الكتاب وشهدنا صورًا كثيرة من تسامح المسلمين مع أهل الذمة مما أثر في ترحيبهم بالفتوحات الإسلامية ثم ذكرنا اعترافات معظم المستشرقين بتسامح المسلمين .

ويدرس الفصل السادس أحوال أهل الذمة في مجتمع صدر الإسلام فشهدنا إقبال أهل الذمة على اعتناق الإسلام وتعلم اللغة العربية والتحضر بالحضارة الإسلامية مما أدى إلى مشاركة أهل الذمة في جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ويتحدث الفصل السابع عن أهل الذمة في عهد الخلفـــاء الراشـــدين والأمويين، فيبدأ بدراسة أحوال أهل الذمة في عهد عمر وعثمان وعلي، ثم أحوالهم في العصر الأموي ويتحدث عن تولية أهـــل الذمـــة المناصـــب الحكومية،ثم يدرس الجزية والخراج في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين، وما تمتع أهل الذمة به من حرية دينية وقيامهم ببناء الكنائس والمعابد .

ويدرس الفصل الثامن أحوال أهل الذمة فـــي العـــصرين العباســـي والعثماني، فيبين تسامح الخلفاء العباسيين مع أهل الذمة .حتـــى أصـــبحوا يتولون كثيرًا من المناصب الكبرى، مما شجعهم على الإقبال على اعتنـــاق الإسلام .كما يتحدث عن المجوس في العـــصر العباســـي وتحـــولهم إلـــى الإسلام . ثم يدرس هذا الفصل أحوال المسيحيين فـــي العـــصر العثمـــاني ومشاركتهم في حياة المجتمع الإسلامي .

أما الفصل التاسع فهو يدرس أحوال أهل الذمة في مصر الإسلامية، منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني، فيتحدث عن موقف الأقباط المصريين من الفتح الإسلامي، وتسامح العرب مع الأقباط ، وينفي أســـطورة حريـــق مكتبة الإسكندرية ، ثم يدرس إقبال أهل الذمة على اعتناق الإســـلام وتعلـــم اللغة العربية ، ثم يدرس الفصل أحوال أهل الذمة في مـــصر علـــى مـــر العصور الإسلامية، في عصر الولاة ، وفي العصور الطولونية والإخشيدية والفاطمية والأيوبية والمملوكية .

ويدرس الفصل العاشر حياة أهل الذمة في بلاد الأنـــدلس وجزيـــرة صقلية، فشهدنا كثيرًا من صور تسامح المسلمين مع أهل الذمة بالأنـــدلس، والحرية الدينية والاجتماعية التي تمتع بها غير المـــسلمين فـــي المجتمـــع

الأندلسي، كما يدرس الفصل أحوال المسيحيين في جزيرة صقلية في العصر الإسلامي .

و الفصل الحادي عشر بعنوان (الحروب الصليبية ليست حروبا دينية)، فقد أثبتت الأبحاث التاريخية الحديثة أن هذه الحروب ليست حروبًا بين المسلمين والمسيحيين، وأن الدين كان ستارًا اختفت خلفه الأغراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية للصليبيين .فقد كانت هذه الحروب هي الحلقة الأولى في سلسلة الأطماع الأوربية في الشرق العربي .

وذكر في هذا الفصل صورًا كثيرة لفظائع ومظاهر تعصب الصليبيين، وهى مستمدة من كتابات المؤرخين الأوربيين المسيحيين، ثم أوضحنا مظاهر تسامح المسلمين مع الصليبيين، وكيف اعترف بذلك المفكرون الغربيون، ثم تحدثنا عن إقبال بعض الصليبيين على اعتناق الإسلام والتحضر بالحضارة الإسلامية .

ويدرس الفصل الثاني عشر أحوال (اليهود في الدول الإسلامية) فيبدأ بالمقارنة بين التسامح الإسلامي والعصبية اليهودية، ثم يقارن بين أحوال اليهود في الدول الإسلامية وأحوالهم في الدولتين الفارسية والرومانية . كما يرسم صورًا كثيرة لحياة اليهود في المجتمع الإسلامي، وتحدثنا عن أحوالهم في بلاد الأندلس وفي مصر الإسلامية، ثم قارن بين أحوال يهود مصر وأحوال يهود أوروبا .

أما الفصل الثالث عشر فيتحدث عن اليهود في فلسطين في العصر الإسلامي، فيبين كيف كانت فلسطين دائمًا جزءً من العالم الإسلامي والوطن العربي، ثم يتحدث عن موقف العرب المسلمين من اليهود في فلسطين قبل

القرن الثامن عشر الميلادي، ويدرس أحوال اليهود في فلسطين في العصر العثماني .

ويدرس الفصل الرابع عشر أحوال العرب والمسلمين في إسرائيل، فقد شهدت الفصول الماضية صورًا ناصعة البياض تثبت تسامح المسلمين مع المسيحيين واليهود على السواء، في جميع الدول الإسلامية ويدرس هذا الفصل الأحوال السيئة التي يعيش فيها الآن العرب والمسلمون في إسرائيل، حتى يستطيع القارئ أن يرى الفارق الكبير بين الحالتين والمعاملتين .

والفصل الخامس عشر، والأخير، بعنوان (حضارة العرب أرقى من حضارة اليهود)، فيبين أنه لم يكن لليهود تراث حضاري، ويصور عقلية اليهود، وثقافتهم المحدودة، ويناقش مدى نجاحهم في النواحي الاقتصادية، ثم يقارن بين الثقافة العربية والثقافة العبرية، وينتهي الفصل بدراسة الحضارة والثقافة في إسرائيل .

وبعد، فهذه صفحات مجيدة، تشرف كل مسلم، وكل عربي، وتبرز تسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الذمة، وتوضح جوانب حياة أهل الذمة على مر العصور الإسلامية .ونرجو أن يكون التوفيق قد حالفنا في هذه الدراسة الجديدة، والله سبحانه وتعالى دائمًا ولي التوفيق .